رقم الترميز الدولي / ISSN (P): 2710-2653
ISSN (E): 2960-253X /
رقم الايداع الوطني / 2375 / 2019

تاريخ استلام البحث 20 / 4 / 2023
تاريخ قبول البحث 1 / 6 / 2023
تاريخ النشر 1/ 12 / 2023

التعاون الأمني – العسكري بين العراق وروسيا الإتحاديّة منذ العام 2003

Security-military cooperation between Iraq and the Russian Federation since 2003

م.م. حسام محمد خضير م.م. حسين علي صبري

جامعة بغداد – مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة

Asst. Lec. Husam Mohammed Khudhair Asst. Lec. Hussein Ali Sabry

University of Baghdad - Center for Strategic and International

husam.mohammed@cis.uobaghdad.edu.iq hussein.a@cis.uobaghdad.edu.iq

IRAQI Academic Scientific Journals

https://www.iasj.net/iasj/journal/393/issues

الملخص

أدركت روسيا الإتحاديّة بعد شنِّها العمليّة العسكريّة الخاصّة ضد أوكرانيا في شباط العام 2022 ضرورة التقرب إلى دول منطقة الشرق الأوسط، والعراق ضمن المدرك الروسي. فهي (روسيا) تسعى إلى كسر العقوبات الإقتصاديّة المفروضة عليها من قبل الولايات المُتحدة الأمريكيّة وحلفاؤها في الغرب من خلال إيجاد أسواق جديدة للمنتوجات الروسيّة، وفتح مجالات تعاون أوسع، وتعزيز العلاقات الإقتصاديّة والتجاريّة، لا سيما في مجالي الطاقة والتسليح. وما يؤكد هذا الطرح، هز زيارة وزير الخارجيّة الروسي (سيرگي لاڤروف) إلى بغداد في أوائل شباط من العام الحالي. وإذا أخذنا بنظر الإعتبار، تبعيّة السوق المحلي والإقتصاد العراقي للعملة الأجنبيّة (الدولار الأمريكي)، وكذلك تغلغل النفوذ الأمريكي في العراق منذ العام 2003، سنجد من الصعوبة تطبيق الإستراتيجيّة الروسيّة بتحقيق أهدافها على أرض الواقع في العراق. لكن الأمر ليس مُستحيلاً، بل سيبقى دائماً مُرتبطاً بالمُتغيرات الداخليّة والإقليميّة والدوليّة .

الكلمات المفتاحيّة: روسيا الإتحاديّة، العراق، أوكرانيا، العقوبات الإقتصاديّة الأمريكيّة .

Abstract

After launching the special military operation against Ukraine in February of last year, the Russian Federation realized the necessity of rapprochement with the countries of the Middle East, and Iraq has always been within the Russian perception. It (Russia) seeks to break the economic sanctions imposed on it by the United States of America and its allies in the West by finding new markets for Russian products, opening broader areas of cooperation, and strengthening economic and trade relations, especially in the fields of energy and armaments. What confirms this proposition, was the visit of the Russian Foreign Minister (Sergey Lavrov) to Baghdad in early February of this year. And if we take into account the dependence of the local market and the Iraqi economy on the foreign currency (the US dollar), as well as the penetration of American influence in Iraq since 2003, we will find it difficult to implement the Russian strategy by achieving its objectives on the ground in Iraq. But the matter is not impossible, but it will always remain linked to internal, regional and international variables.

Keywords: Russia, Iraq, Ukraine, US economic sanctions.

المقدمة

يشهد العالم منذ فبراير (شباط) العام 2022 حدوث مُتغير جديد على الساحة الدوليّة، ألا وهو إعلان روسيا الإتحاديّة العمليّة العسكرية الخاصّة ضد أوكرانيا. وقد ترتب على هذه العمليّة فرض عقوبات أمريكيّة وغربيّة على روسيا الإتحاديّة على الأصعدة كافة، من أبرزها وأكثرها تعقيداً السياسي والإقتصادي. وقد نتج عن ذلك تداعيات إقليميّة ودوليّة خطيرة تمس الإقتصاد والأمن الروسي، وقد تأثرت العلاقات الدوليّة الروسيّة من جراء هذه العقوبات، بل وصل بعضها إلى حد القطيعة. وما يُهمنا في هذا البحث، هو أن نُبين طبيعة التعاون الأمني – العسكري بين العراق وروسيا الإتحاديّة في ظل هذه الظروف والأزمات الراهنة التي قد تُغيّر في موازين القوى الدولي. ومن دون ادنى شك إن هذه التوترات والأزمات والحروب العالمية تزيد من إحتماليّة ولادة نظام عالمي جديد لا يقوم على قطب واحد يُهيمن الساحة الدوليّة من خلال فرضه الشروط والأحكام على جميع الدول بما فيها التي تخضع له والتي توصف بالدول الحليفة أو الشريك الاقتصادي.

إشكاليّة البحث: تُثار إشكالية البحث من خلال التساؤل: هل بالإمكان أن تتطور العلاقات بين العراق وروسيا الإتحاديّة في ظل الظروف الراهنة والتحديات التي تواجه البلدين، لاسيما روسيا الإتحاديّة وعمليتها العسكريّة الخاصّة(*) ضد أوكرانيا.

فرضية البحث: تنطلق فرضية البحث من أن التعاون الثنائي بين العراق وروسيا الإتحاديّة في المجال العسكري لن يتوسع ويزدهر في الوقت الراهن على أقل تقدير. فروسيا مُنشغلة بصراعها مع الغرب على الأراضي الأوكرانيّة، والعراق مُلزم (واقعياً) بتطبيق مُعظم العقوبات الإقتصاديّة والمصرفيّة المفروضة على روسيا الإتحاديّة من قبل الولايات المُتحدة الأمريكيّة وحلفاؤها من دول الغرب.

مناهج البحث: أُعتُمدت المناهج الأتية في البحث: المنهج التأريخي والمنهج الوصفي ومن ثم المنهج التحليلي. وذلك سعياً منا للوصول إلى حصيلة إستنتاجات نوعيّة موجزة ومبسّطة في الوقت نفسه.

هيكلة البحث: فضلاً عن المُقدمة والخاتمة، يتألف البحث من المحاور الآتية:

أولاً: دوافع التعاون الثنائي بين العراق وروسيا الإتحاديّة
ثانياً: الدعم الروسي للعراق في مواجهة تنظيم (داعش) الإرهابي
ثالثاً: مُستقبل التعاون الأمني – العسكري بين العراق وروسيا الإتحاديّة

أولاً: دوافع التعاون الثنائي بين العراق وروسيا الإتحاديّة

سارعت دول العالم العظمى كالولايات المُتحدة الأمريكيّة وروسيا وبعض الدول الأوروبيّة، على سبيل المثال، بريطانيا وفرنسا، لبسط نفوذها على مناطق الشرق الأوسط، لا سيما تلك التي تتمتع بموارد وثروات طبيعيّة، وفي مقدمتها الموارد النفطيّة، والعراق ليس إستثناء من ذلك، إذ يُعد الأخير من أهم الدول النفطيّة في المنطقة، ويحتل المرتبة الثانيّة بعد المملكة العربية السعوديّة من حيث الإحتياطي النفطي، وكان في السنوات الأولى بعد إستقلاله في العام 1932 (العراق) يُمثّل موقع إستقطاب للقوى العالمية بعد أنْ تم إكتشاف حقول نفطيّة كبيرة في كركوك، الأمر الذي وجّه إنتباه الحكومات الغربيّة ورؤوس الأموال العالميّة صوبه[1]. وعلى الرغم من الأزمات الاقتصادية التي مرت بها روسيا، فالأخيرة ما زالت تُعد إحدى أهم الدول الفاعلة في النظام العالمي، وتأتي هذه الأهميّة من خلال موقع روسيا الدائم في مجلس الأمن الدولي، ومساحة روسيا الجغرافية التي شغلت حتى نهاية ثمانينيات القرن الماضي (15) بالمئة من مساحة العالم الكُليّة، كما إنّ روسيا هي القوة العسكريّة العظمى الثانيّة في العالم، ولديها قوة تقليديّة في مناطق أوروبا وآسيا[2]. وروسيا الإتحاديّة كانت وما تزال ترى في التناقضات العميقة الموجودة بين دول الغرب والعالم الإسلامي مكسباً كبيراً لها، وبالمُقابل يهتم الأخير جداً في جذب قطب عالمي قوي إلى جانبة ألا وهو روسيا الإتحاديّة[3].

وعلى صعيد العلاقات الدوليّة لروسيا الإتحاديّة، وطبيعة السياسة الخارجيّة الروسيّة في هذه العلاقات. فقد ترسخت العلاقات الروسيّة – العراقيّة منذ الأعوام الأخيرة من القرن الماضي، مع الاخذ بنظر الإعتبار أنَّ العراق كان وما زال له القدرة على إشباع المصالح الإقتصاديّة والتجاريّة لروسيا، وذلك من خلال إمتلاكهِ (العراق) النفط والمال والسوق الواسعة، وتتجلى هذه العلاقة الثنائيّة بين البلدين في المجال العسكري، إذ أنَّ لروسيا دوراً كبيراً في تسليح وتأهيل وتطوير الجيش العراقي، وكذلك مُساعدة العراق في مواجهة التحديات الدوليّة، لا سيما تلك التي توجدها الولايات المُتحدة الأمريكيّة[4]. إلا أنّ التأثير الروسي كان ضعيفاً إلى حدٍ ما في قضايا الشرق الأوسط ومنها مشاريع التسوية العربيّة الصهيونيّة وقضيّة العراق أمام إنفراد الموقف الأمريكي الذي كان يُعد القطب العالمي الأساسي[5]. وقد كان الاحتلال الأمريكي للعراق في العام 2003 بمثابة ضربة موجعة للمصالح الإستراتيجيّة الروسية في العراق، إذ فقدت روسيا نفوذاً إقتصادياً وسياسياً لا يُستهان به بعد سقوط النظام العراقي آنذاك، والذي كانت تجمعه مع روسيا علاقات مبنيّة على أسس إستراتيجيّة، لا سيما في المجال الاقتصادي الذي إعتمد

بالدرجة الأولى على عقود وإستثمارات الشركات الروسيّة في مجال النفط والطاقة، والتي كان بإمكانها أن تجني مكاسب إقتصاديّة ضخمة لو حصل وتم رفع العقوبات عن العراق (وقَّع العراق مع روسيا عقوداً نفطيّة تصل قيمتها إلى 40 مليار دولار لإستثمار عدداً من الحقول النفطيّة في جنوب العراق، على أن يتم تسديد هذه المبالغ من الجانب العراقي بعد رفع العقوبات الدوليّة المفروضة على العراق منذ العام 1990)[6].

وقد تمثّلت الأشكال الرئيسيّة للتعاون الإقتصادي الخارجي بين العراق وروسيا الإتحاديّة في التجارة الثنائيّة والتعاون الإنتاجي في مجال التنقيب المُشترك وإنتاج النفط والغاز العراقي، فضلاً عن التعاون التقني والعسكري، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ العراق وروسيا الإتحاديّة لم يصبحا بعد شريكين تجاريين رئيسيين لبعضهما البعض، ففي العام 2016، على السبيل المثال لا الحصر، كانت الدول المُصدرة الرئيسية للعراق هي الصين (25.4٪) والهند (17.3٪) والولايات المُتحدة الأمريكية (14.3٪) وكوريا الجنوبية (12٪) وإيطاليا (6.5٪) واليونان (6.1٪) والمستوردون (للنفط الخام) – الصين (23.5٪) ، وتركيا (23٪) ، وإيران (20٪)، كوريا الجنوبية (5٪) ، الولايات المتحدة الأمريكية (4٪)، وبلغت حصّة روسيا الإتحاديّة في إجمالي واردات العراق في العام 2016 (4.7٪)، وبلغ نصيب العراق من صادرات روسيا الإتحاديّة (0.321٪)، إلا أن نصيب العراق من الصادرات الروسيّة في المدة (2010 – 2015) كان يزداد بثبات خلال هذه الأعوام (يُنظر الشكل رقم 1) . علماً أن أبرز الصادرات الروسيّة للعراق هي المعادن والأخشاب.

شكل رقم (1)

نصيب العراق من الصادرات الروسيّة خلال المدة (2010 – 2017)

Source:

Аль-Зухайри, Х. М. Внешнеэкономическое сотрудничество России и Ирака в современных условиях / Х. М. Аль-Зухайри // Современные вызовы и реалии экономического развития России : Материалы V Международной научно-практической конференции, Ставрополь, 19–21 апреля 2018 года / Под ред. Л.И. Ушвицкого, А.В. Савцовой. – Ставрополь: Общество с ограниченной ответственностью "Издательско-информационный центр "Фабула", 2018. Стр. 28 .

وبما أنّ العراق وروسيا الإتحاديّة يمتلكان إحتياطات كبيرة من النفط والغاز، ويحتلان مكانة مُهمة في السوق العالمي للطاقة، ورغم وجود شروط أوليّة سياسيّة وإقتصاديّة في الوقت الراهن للتعاون الإقتصادي المُشترك بين البلدين، فإنّ الطاقة الكهربائيّة تُمثل إحدى أهم مجالات التعاون وتحقيق الأهداف المُشتركة للعراق وروسيا الإتحاديّة، إذ تتطور العلاقات الإقتصاديّة العراقيّة – الروسيّة في هذا المجال وعلى أصعدة الإنتاج والتجارة والإستثمار من خلال المُشاركة الفاعلة للشركات الروسيّة المُختصّة في تنفيذ مشاريع لإستكشاف حقول النفط والغاز العراقيّة، والعمل على إستثمارها، فضلاً عن توريد المعدات الخاصة بمحطات توليد الطاقة الكهربائيّة والمركبات[7]. ومن أهم الأمثلة على التعاون العراقي – الروسي في مجال الطاقة الكهربائيّة[8]:

أ. شركة (**Power Machines**) الروسيّة وهي شركة مصنعة لمعدات الطاقة، تقوم منذ سنوات عديدة بتوريد المعدات لمحطات الطاقة الحراريّة في العراق، وتخطط للمُشاركة في بناء محطات جديدة للطاقة، وإعادة إعمار وتحديث المحطات الحاليّة (القديمة).

ب. شركة (**Zarubezhneft**) الروسيّة والتي تقدمت بطلب المُشاركة في مُناقصة إستكشاف الحقول الحدوديّة في العراق.

ت. شركة (**Inter RAO**) الروسيّة، التي تُخطط للمُشاركة في إستكمال بناء محطّة (العظيم) الكهرومائيّة، ومحطّة (اليوسفيّة) الحراريّة (إستأنفت الشركة الروسيّة عملها بالمحطّة في منتصف العام 2010 بعد ان توقف إستمر منذ العام 2004 بسبب سوء الأحوال الأمنيّة)، وكذلك محطّة (الدبس) الحراريّة، وبناء البنى التحتيّة للشبكة الخاصة بها، فضلاً عن تحديث وتوسيع منشآت الطاقة الكهربائيّة الحاليّة في العراق. وتعمل أغلب الشركات الروسيّة في مجال الطاقة في العراق منذ بداية تسعينيات القرن الماضي. وقد توقفت عن العمل بعد الإحتلال الأمريكي للعراق في العام 2003، ومن ثمَّ عاودت نشاطها بصورة تدريجيّة بطلب من الحكومات العراقيّة بعد الإستقرار النسبي للأوضاع الأمنيّة في الأراضي العراقيّة وإنسحاب القوات الامريكيّة من العراق .

وعلى صعيد التعاون العسكري، أولت روسيا الإتحاديّة إهتماماً بالغاً لهذا المجال. إذ كانت الصناعات العسكريّة الروسيّة، وما تزال إن صح التعبير، مصدر مهم للدخل الروسي، لا سيما في منطقة الشرق الأوسط كونها منطقة غير مُستقرة لتواجد الجماعات الإرهابيّة ونشوب النزاعات والتوترات الإقليميّة والدوليّة في هذه المنطقة، فضلاً عن أنّ سياسية الرئيس الروسي (ڤلاديمير پوتين) كانت تتركز منذ بداية القرن الحادي والعشرين على القوة العسكريّة كأحد عناصر القوة للدولة، لذلك بدأت روسيا في تطوير وتنويع وإعادة هيكلة قوتها العسكريّة وتقنياتها الحربيّة في تلك المرحلة[9]. ولا يُمكن الإغفال عن مسألة

صعوبة تسليح الجيش العراقي بالسلاح الروسي بعد العام 2003، بحكم تغلغل النفوذ الأمريكي في العراق بعد سقوط النظام الحاكم آنذاك. وبذلك إحتكرت الولايات المُتحدة الأمريكيّة على معظم العقود التجاريّة، بما فيها العسكريّة والتقنيّة، في العراق، فضلاً عن أنَّ الأخير كان يعيش حالة من الفوضى وعدم الإستقرار الداخلي والسياسي خلال تلك المدة. ويُمكن القول أنّ العلاقات العراقيّة – الروسيّة في المجال العسكري بدأت تأخذ منحى أكثر فاعليّة وإيجابيّة خلال العقد الثاني من القرن الحالي، لا سيما بعد عقد العديد من صفقات شراء السلاح الروسي في ظل الحاجة الماسة للحكومة العراقيّة لتسليح الجيش لمواجهة تحديات التنظيمات الإرهابيّة والجماعات المُسلّحة كتنظيم داعش الإرهابي (2014) والذي سنوضحهُ لاحقاً في المحور (ثانياً) من البحث.

ثانياً: الدعم الروسي للعراق في مواجهة تنظيم (داعش) الإرهابي

حرصت روسيا دائماً على تنفيذ إستراتيجيتها في مكافحة الإرهاب، لذلك بذلت كل ما بوسعها من أجل منع سيطرة الجماعات المُتطرفة على دول معينة، وقيام هذه الجماعات بممارسة نهج التمييز العنصري أو العرقي في المجتمعات، إذ أن روسيا ترى أن الأدوات الإرهابيّة في سوريا والعراق تُمثّل إمتداداً عقائدياً وتنظيميّاً وحزبياً لأدوات المُعارضة في الشيشان والتي تعمل بالضد من روسيا، الأخيرة التي تخشى من إنتصار هذه الجماعات الإرهابيّة المزعومة بالحركات او التنظيمات الإسلاميّة في سوريا والعراق، لأن ذلك سيؤدي إلى تفعيل المُعارضة المُسلحة الإسلاميّة (الشيشانيّة) في القوقاز الروسي[10] . لذلك، يمكن القول بأن مُشاركة عناصر ممن هم مواطنون روس في تنظيم (داعش) الإرهابي كان بمثابة تهديد مُحتمل لروسيا وأمنها، وبلغت خطورة الامر إلى وصول أحد العناصر الشيشانيّة وهو (أبو عمر الشيشاني) إلى منصب قيادي في هذا التنظيم الإرهابي، والذي كان سابقاً (أبو عمر الشيشاني) يُقاتل في ناغورنو كاراباخ، وهو منذ بداية العام 2000 يُمارس العمل الإرهابي على أراضي إنغوشيا الواقعة في شمال القوقاز الروسي[11]. وبعد أن وقع المحظور بالنسبة لروسيا، وطرأت مُتغيرات جديدة على الساحة الدولية في منتصف العام 2014، عندما إستولى تنظيم (داعش) الإرهابي على ثُلثي أراضي العراق، حينها أبدت الحكومة العراقيّة حاجتها المُلحة للسلاح من اجل إيقاف مد هذا التنظيم الإرهابي نحو بغداد وبقية المحافظات العراقيّة، في الوقت الذي كان فيه الكونغرس الأمريكي يُماطل بتزويد العراق بالطائرات المُقاتلة من طراز (أف 16)، وطائرات الهيلكوبتر من طراز (أباتشي)، وتوانت واشنطن من تقديم المساعدة العسكريّة اللازمة إلى بغداد، وجدت الحكومة الروسيّة حينها في هذا المُتغير الطارئ المجال الرحب لإستغلاله لصالح روسيا، لا سيما بعد أن ناشدت الحكومة العراقيّة الرئيس الروسي (فلاديمير

بوتين) لتزويدها بالسلاح الروسي المتطور[12]. وربما أنّ التطور الروسي الملحوظ في المجالات المعلوماتيّة والإستخباراتيّة والأمن السيبراني يجعل من روسيا الإتحاديّة قوة بإمكانها إستقطاب العديد من الدول التي تُعاني من ضعف في البنى التحتيّة للمعلومات والأمن الوطني، لا سيما في ظروف مواجهة الجماعات الإرهابيّة الخطيرة التي تم تأهليلها وتدريبها ضمن هذا الأساس. فروسيا، مثلها كباقي الدول العالميّة المُتقدمة، كالولايات المُتحدة الأمريكيّة ودول الإتحاد الأوروبي والصين والهند وغيرها، أصبحت تُصنِّف مسائل الدفاع السيراني (الأمن السيبراني) كأولويّة في سياستها الدفاعيّة الوطنيّة من أجل درء مخاطر الجرائم الإلكترونيّة والإختراق الخارجي لنظام ومؤسسات الدولة[13]. ومن الجدير بالذكر، أن العراق كان يُعاني من تهديدات أمنيّة كبيرة منذ العام 2003، ولم تنحصر خطورة هذه التهديدات في المدة التي تعرضت لها الأراضي العراقيّة للعمليات الإرهابيّة من قبل تنظيم (داعش) الإرهابي، وهذه التهديدات شكّلت بمجملها تحديات خطرة أثّرت في الوضع الداخلي للعراق (التوترات المُجتمعيّة، والتراجع الاقتصادي، تزايد خطر العشائر المُسلّحة، الجريمة المُنظمة العابرة للحدود الوطنيّة) والتي إنعكست سلباً على النطاق الإقليمي والدولي، وكذلك على المُستقبل السياسي للعراق[14] .

وبالعودة إلى مرحلة سيطرة داعش الإرهابي على ثُلثي أراض العراق، كما أسلفنا. دعمت روسيا الإتحاديّة العراق، وبطلب من الأخير، عسكرياً لمواجهة هذا التنظيم الخطير، إذ بلغت الواردات العسكريّة الروسيّة إلى العراق في العام 2014 حوالي 1.7 مليار دولار أمريكين والتي شملت الآتي[15]:

أ. (10) طائرات من طراز (سو–25).

ب. (12) منظومة قاذفة لهب ثقيلة .

ت. (10) مروحيات من طراز (مي–35) .

ث. منظومات دفاع جوي أرض – جو من نوع (بانتسير–إس 1) .

كما شَمِلَ الدعم الروسي للعراق الجوانب الإستخباراتيّة والمعلوماتيّة، إذ تم إبرام الإتفاقيّة الرباعيّة في العام 2015 ما بين روسيا والعراق وإيران وسوريا بشأن تبادل المعلومات، والتي على ضوءها أُنْشِأَ مركز تبادل المعلومات الرباعي في بغداد[16].

يُمكن القول بأنّ روسيا الإتحاديّة كانت تتبنى إستراتيجيّة أو إجراءات مُترابطة لقمع تنظيم (الدولة الإسلاميّة) الإرهابي في العراق وسوريا وفقاً لأولويات وأهداف تتعلق بالمصالح الإستراتيجيّة الروسيّة، وكذلك حماية الأمن القومي الروسي. ونوضّح هذه الإستراتيجيّة في الشكل الآتي:

شكل رقم (2)

الشكل من إعداد الباحث بالإعتماد على المصدر:

Ваничкин, С. В. Чем опасно "Исламское государство" для России / С. В. Ваничкин // Научные ведомости Белгородского государственного университета. Серия: История. Политология. – 2015. – № 19(216). Стр. 170 .

ثالثاً: مُستقبل التعاون الأمني – العسكري بين العراق وروسيا الإتحاديّة

على الرغم من تأثير المُتغير الأمريكي في العلاقات العراقيّة – الروسيّة، ودور الولايات المُتحدة الأمريكيّة الفاعل في إقتصاد وأمن وسياسة العراق منذ العام 2003، إلا أن روسيا الإتحاديّة تمتلك مقومات إقتصاديّة وبشريّة وعسكريّة تُمكّنها من تقليل حدّة هذا المُتغير، مع الأخذ بنظر الإعتبار العمق التاريخي للتعاون والعلاقات الثنائيّة بين العراق وروسيا، ومدى جدّية البلدين في التعامل مع هذا المُتغير على أرض الواقع[17]. وبالطبع، أن ملامح التعاون بين العراق وروسيا الإتحاديّة تبدو واضحة، قبل كل شيء، في المجالين الأمني (العسكري) والطاقوي. ولعل زيارة وزير الخارجيّة الروسي (سيرغي لافروف) إلى بغداد في أوائل شباط (فبراير) الماضي من العام الحالي 2023 خير دليل على ذلك. وعلى الرغم من أن الزيارة المذكورة كانت تحمل في طياتها ملامح إقتصاديّة إستثماريّة تتمثّل في تعزيز التعاون في

مجال الطاقة (النفط والغاز) بين العراق وروسيا، إلا أن موضوع التسليح كان وارداً أيضاً. إذ ضمَّ الوفد الروسي الذي ترأسه (لافروف) مسؤولين دبلوماسيين وعسكريين إلى جانب فريقاً واسعاً من المستثمرين وممثلي شركات النفط والغاز[18]. ومن المُرجّح للغايّة، أنّ روسيا الإتحاديّة في ظل ظروف عمليتها العسكريّة الخاصّة في أوكرانيا ومواجهتها للغرب (دول الناتو) ميدانياً على الأراضي الأوكرانيّة، وتعرضها للضغوط والعقوبات الأمريكيّة والغربيّة على كافة الأصعدة، وفي مقدمتها السياسيّة والإقتصاديّة، تسعى (روسيا) لإيجاد البدائل التي من شأنها أن تُخفف من وطأة هذه العقوبات. وأنّ روسيا بطبيعتها كانت وما تزال تعمل على تعزيز حضورها في منطقة الشرق الأوسط عبر سياسات دعم هياكل الدول والحكومات القائمة ضد التمرد أو التدخل الخارجي متحدّيةً بذلك التوجه الغربي الذي يهدف إلى تغيير بعض الأنظمة، وبهذه السياسة أو الإستراتيجيّة، إن صح التعبير، تتمكن روسيا من توسيع نفوذها الإقتصادي والسياسي في دول المنطقة من خلال تعزيز الشراكات الإستراتيجيّة وخلق بديل واقعي يحل محل الدول الغربيّة في منطقة الشرق الأوسط[19]. والعراق، بكل تأكيد، ونظراً لأهميته وفق المنظور الروسي، ليس إستثناء من هذه السياسة الروسيّة.

وبالنسبة للعراق، يُعد التعاون العسكري مع روسيا، إلى حدٍّ ما، وسيلة لتقليل الإعتماد على الولايات المُتحدة الأمريكيّة، فضلاً عن أن هذا التعاون يُعد (بالنسبة للعراق) وسيلة لحث الأمريكيين نحو تعاون أكثر فاعليّة في الحرب ضد الإرهاب[20]. كما أن أحد أهم الأسباب التي تُحفّز العراق إلى التعاون مع روسيا الإتحاديّة بدلاً من الولايات المُتحدة الأمريكيّة هو السرعة في توريد الأسلحة الروسيّة، إذ إضطر العراق للإنتظار عدة سنوات حرفياً للحصول على التقنيات والمُعدات الأمريكيّة، فقد تسلّم العراق، تحديداً في العام 2019، دفعة من (36) مُقاتلة من طراز (F-16) بموجب عقود أُبرمت في (2011 – 2012)، في حين أن العراق قد حصل على المُقاتلتين (Su-25) و (Su-30) الروسيتين في العام نفسه الذي تم فيه إبرام الصفقة[21]. وبذلك، بالإمكان أن تكون روسيا ضمن أولويات العراق عند التخطيط لشراء المُعدات العسكريّة الحديثة. إلا إنّ المُتغيرات الدوليّة الحاليّة (العقوبات الأمريكيّة المفروضة على روسيا على خلفيّة عملياتها العسكريّة الخاصّة في أوكرانيا منذ أواخر شهر شباط من العام 2022) لن تساعد العراق في إقتناء السلاح الروسي بسهولة. بل أن الأمر، لربما، سيتجاوز مُستقبلاً في ظل الظروف والأزمات الدوليّة الراهنة صعوبة إمكانيّة التعاون العسكري مع روسيا الإتحاديّة إلى الإقتصادي والطاقوي أيضاً. ولم يكنْ إعتباطاً ما صرّح به سفير روسيا الإتحاديّة لدى العراق (إلبروس كوتراشيف) لوكالة (نوڤوستي) الروسيّة في العام الماضي حول إعاقة الولايات المُتحدة الأمريكيّة لعملية بناء التعاون العسكري التقني بين موسكو وبغداد، وأنَّ الولايات المُتحدة الأمريكيّة تتبع أسلوب تنافسي غير عادل في

العراق من خلال فرضها لإسلحتها وخدماتها على العراقيين، وعدم السماح للعراق بالإطلاع على المُعدات المورّدة، وإحتكارهم (الأمريكيون) جميع أعمال الصيانة المُتعلقة بهذه المُعدات، مما يُثير الشك حول وجود أمور مخفيّة لا يُراد إظهارها تماماً للمُستهلك أو غيره[22]. وبالتالي، يُمكن وصف إمكانيّة عملية التعاون العسكري بين العراق وروسيا الإتحاديّة في الشكل رقم (3)، والذي يوضّح تأثير العقوبات الأمريكيّة المفروضة على روسيا في إمكانيّة هذا التعاون أو غيره بالنسبة لروسيا. إذ نجحت هذه العقوبات في عزل روسيا الإتحاديّة عن محيطها الإقليمي بصورة شبه تامه، وأخذت هذه العقوبات تؤثر أيضا في تعاملات روسيا مع الدول البعيدة (غير الإقليميّة) وهنا نقصد العراق. ولكن لا يُمكن أن نجزم بأن تقليص العلاقات سيشمل المجالات كافة، بإستثناء المجال العسكري، إذ ما يزال هناك تعاون روسي – عراقي في المجالات الدبلوماسية والثقافية والرياضية، وعلى سبيل المثال، إستمرار الطلبة العراقيون بتمتعهم بمنح دراسيّة حكوميّة (زمالات دراسيّة) ممنوحة من قبل الجانب الروسي إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقيّة في كافة التخصصات العلميّة، ومواجهة المُنتخب الوطني الأول للعراق لمنتخب روسيا الإتحاديّة لكرة القدم وديّاً في مدينة سانت بطرسبرغ الروسيّة في يوم 26 من شهر مارس (آذار) من العام الحالي والتي إنتهت بفوز روسيا بهدفين دون مُقابل في الوقت الذي تتعرض له الرياضة الروسيّة لعقوبات صارمة، وإمتناع أغلب المُنتخبات الوطنيّة لدول القارة الأوروبيّة عن مواجهة المنتخب الروسي. في حين أنَّ التعاون العسكري بين العراق وروسيا، من غير المُحتمل، أن يتعزز في ظل الظروف الراهنة كون أنّ هذا النوع من التعاون، وكذلك التعاون الطاقوي، سيدُر بالربح وسيُنعش الإقتصاد الروسي القومي، الأخير الذي تسعى الولايات المُتحدة الأمريكيّة وحلفاؤها إلى إستنزافه بشتى الطرق.

شكل رقم (3)

تداعيات العقوبات الأمريكيّة والغربيّة على التعاون العسكري بين العراق وروسيا الإتحاديّة

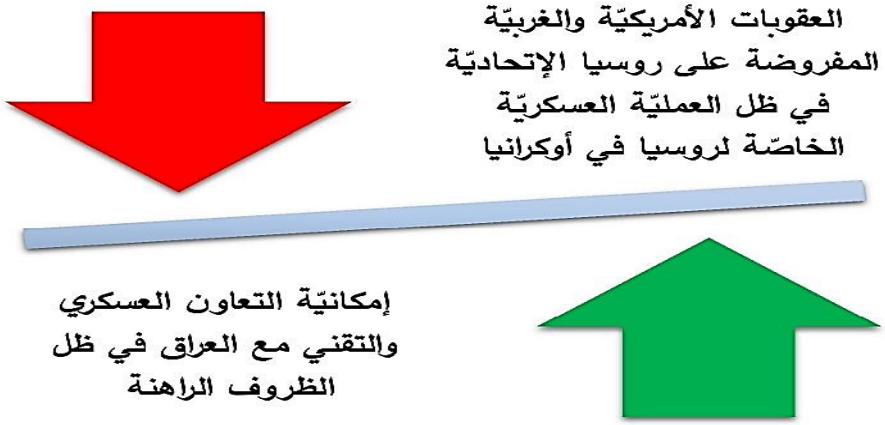

الشكل من إعداد الباحث

نستنتج من الشكل أعلاه، أن هناك ترابط عكسي بين العقوبات الدوليّة المفروضة على روسيا الإتحاديّة والتعاون العسكري الروسي مع العراق. فكلّما زادت حُزم العقوبات وإشتدت الأزمة بين الروس والغربيين (الولايات المُتحدة الأمريكيّة ودول الناتو) إنعدمت إمكانيّة وجود تعاون مُستقبلي، لا سيما على الأصعدة التجاريّة والإقتصاديّة، بين العراق وروسيا الإتحاديّة، إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار تأثُّر العراق بالسياسة النقديّة الأمريكيّة من حيث التعاملات المصرفيّة الخارجيّة، فضلاً عن وجود أبعاد إستراتيجيّة أخرى في المنظور الأمريكي تجاه مسألة تغلغل النفوذ الروسي في العراق.

الخاتمة

لا نستطيع أن نُقيّم العلاقات أو التعاون الأمني – العسكري بين العراق وروسيا الإتحاديّة بصورة شاملة ودقيقة وفقاً لمُدّة زمنيّة مُحددة تشهد صراع مُباشر بين الأخيرة ودول الناتو التي تُقاد من الولايات المُتحدة الأمريكيّة. الأخرى التي لديها نفوذ في العراق يفوق النفوذ الروسي الذي بات أقل بكثير مما كان عليه قبل العام 2003. وعليه سنستعرض أهم الإستنتاجات التي تم التوصل إليها في نهاية البحث:

1. يتمتع العراق وروسيا الإتحاديّة بعلاقات ودّية على المُستوى الدبلوماسي، ولدى روسيا الإتحاديّة شركات كبيرة تعمل في العراق في مجال الطاقة. لذلك، بالإمكان أن تعزز روسيا من دورها في العراق، وبإمكان الأخير أن يخرج من الإعتماد شبه الكلي على الولايات المُتحدة الأمريكيّة في تقرير مصير البلاد.

2. بالرجوع إلى المواقف الروسيّة تجاه العراق في مواجهتهِ لداعش الإرهابي، يُمكن الإعتماد على روسيا الإتحاديّة في مسألة إقتناء السلاح والتقنيّة العسكريّة المُتطورة التي تتميز عن نظيرتها الأمريكيّة من حيث الأسعار المناسبة والجودة التي تُلائم عقيدة الجيش العراقي.

3. إنّ مُستقبل التعاون العراقي – الروسي في المجالات التجاريّة والإقتصاديّة، وتجارة السلاح بكل تأكيد، مُرتبط بنتيجة الصراع الروسي – الأوكراني، أو الأصح أن نقول الصراع الروسي – الأمريكي – الغربي على الأراضي الأوكرانيّة. إذ أن إنتصار روسيا الإتحاديّة في هذ الصراع سيؤدي إلى إعادة هيكلة النظام العالمي بالشكل الذي يخدُم المصالح الإستراتيجيّة والأمن القومي الروسي.

4. بإمكان العراق أن يستفاد من المشاريع الإقليميّة والدوليّة وفي مقدمتها روسيا الإتحاديّة والصين التي تدعوا إلى إيجاد البديل عن الدولار الأمريكي. والإنضمام إلى التحالفات التجاريّة والإقتصاديّة الجديدة والمُناسبة، إذ أن ذلك سيخدُم المصالح العراقيّة ويُعزز من قوة الإقتصاد والعُملة المحليّة.

5. إنَّ روسيا الإتحاديّة هي خيار واقعي فرض نفسه أمام العراق في العديد من المواقف والأزمات من حيث تزويده بالسلاح المتطور ودعم الحكومات العراقيّة في مجال تبادل المعلومات الإستخباراتيّة المُتعلقة بالأمن القومي للعراق بالتعاون مع الدول الإقليميّة (سوريا وإيران) .

الهوامش

(*) تطلق السلطات الروسيّة العُليا تسمية (عمليّة عسكريّة خاصّة) منذ شروعها بشن الهجوم العسكري على أوكرانيا منذ شباط العام 2022 .

(1) ليث سلام مهدي: المنافسة الإقليمية والدولية في الشرق الأوسط وتأثيرها على العراق، مجلّة دراسات وبحوث إعلاميّة – مسار، العدد (8)، الجامعة العراقيّة، 2022، ص115 .

(2) وداد جابر غازي: طبيعة العلاقات العراقية – الروسية (دراسة تاريخية وسياسية)، مجلّة مركز المُستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة، العدد 20–21، الجامعة المُستنصريّة، 2006، ص212 .

(3) Смирнов, А. Н. Исламский фактор в политике России: возможности и пределы влияния / А. Н. Смирнов // Мировая экономика и международные отношения. – 2011. – № 9. – Стр. 78 .

(4) وداد جابر غازي، مصدر سبق ذكره، ص213 .

(5) سرمد زكي الجادر، وائل محمد إسماعيل: الإدراك الأمريكي للعلاقات الأمنية مع روسيا الإتحادية (الواقع والمُستقبل)، مجلّة قضايا سياسيّة، العدد (1)، كُليّة العلوم السياسيّة – جامعة النهرين، 2008، ص47 .

(6) بيداء محمود أحمد: العراق في الإستراتيجيّة الروسيّة، مجلّة مركز المُستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة، العدد (25)، الجامعة لمُستنصريّة، 2008، ص20 .

(7) Воронина, Т. В. Сотрудничество Ирака и России в сфере электроэнергетики / Т. В. Воронина, Х. М. А. Аль-Зухайри // Многополярная глобализация и Россия : Сборник материалов VII международной научно-практической конференции, Ростов-на-Дону, 24–26 мая 2018 года. Том 2. – Ростов-на-Дону: Южный федеральный университет, 2018. Стр. 15 .

(8) المصدر نفسه، ص ص14 – 15 .

(9) سند وليد سعيد: عودة روسيا الإتحاديّة إلى المناطق الحيويّة في القرن الحادي والعشرين، المجلّة العراقيّة للعلوم السياسيّة، العدد (7)، الجمعيّة العراقيّة للعلوم السياسيّة، 2022، ص381 .

(10) وليد حسن محمد: الدور الدولي في محاربة الإرهاب في العراق... روسيا أنموذجاً، مجلّة دراسات دوليّة، العدد (61)، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة – جامعة بغداد، 2015، ص200 .

(11) Мелконян, С. Г. "Исламское государство Ирака и Леванта" (ИГИЛ) как экзистенциальная угроза безопасности России / С. Г. Мелконян // Научные труды Северо-Западного института управления РАНХиГС. – 2015. – Т. 6, № 1(18). Стр. 193.

(12) فاطمة حسين فاضل المفرجي: تطور العلاقات الروسية – العراقية للمدة (2011 – 2019)، مجلّة العلوم السياسيّة، العدد (62)، كليّة العلوم السياسيّة – جامعة بغداد، 2021، ص336 .

(13) زهير خضير عباس الزبيدي، ظفر عبد مطر التميمي: العراق والأمن السيبراني.. الفرص والتحديات، مجلّة واسط للعلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، العدد (51)، جامعة واسط، 2022، ص39 .

(14) مصطفى إبراهيم سلمان الشمري: تأثير العامل الأمني في السياسة الخارجية العراقية منذ العام 2003، مجلّة تكريت للعلوم السياسيّة، العدد (25)، جامعة تكريت، 2021، ص226 .

(15) روسيا والعراق.. تاريخ من التعاون العسكري والإقتصادي، الجزيرة مُباشر، 2015/5/21، الموقع مُتوفر عبر الرابط: https://bit.ly/401XD2A

(16) Восстановление Ирака после победы над "Исламским государством": перспективы международного участия // Вестник Московского университета. Серия 25. Международные отношения и мировая политика, – Т. 10, № 2, 2018, Стр. 176 .

(17) مثنى علي حسين المهداوي: أثر المتغير الأمريكي في العلاقات الروسية – العراقية المُعاصرة، مجلّة دراسات دوليّة، العدد (41)، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة – جامعة بغداد، 2009، ص ص15 – 16 .

(18) شيلان شيخ موسى: زيارة لافروف للعراق.. حماية للعلاقات الاقتصادية من العقوبات؟ الحل نت (منصّة إعلاميّة إلكترونيّة)، الأربعاء 8 فبراير 2023، 4:00 م، الموقع مُتوفر عبر الرابط: https://bit.ly/40sUjgB

(19) سعد عبيد السعيدي: توظيف روسيا الإتحاديّة لقطاع الطاقة في دعم دورها العالمي بعد عام 2000، مجلّة المعهد، العدد (11)، معهد العلمين للدراسات العُليا، 2022، ص ص161 – 162 .

(20) Щёкин Анатолий Сергеевич. "ВОЕННО-ТЕХНИЧЕСКОЕ СОТРУДНИЧЕСТВО РОССИИ СО СТРАНАМИ БЛИЖНЕГО ВОСТОКА КАК ФАКТОР СТАБИЛЬНОСТИ В РЕГИОНЕ" Россия и современный мир, №. 2 (115), 2022, Стр. 14.

(21) المصدر نفسه .

[22] سفير روسيا في العراق: الولايات المتحدة تعيق التعاون العسكري التقني بين موسكو وبغداد، RT Arabic ، 2022/12/8، 04:46 ، الموقع مُتوفر عبر الرابط: https://bit.ly/3zgThlU

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربيّة:

1. بيداء محمود أحمد: العراق في الإستراتيجيّة الروسيّة، مجلّة مركز المُستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة، العدد (25)، الجامعة لمُستنصريّة، 2008 .

2. زهير خضير عباس الزبيدي، ظفر عبد مطر التميمي: العراق والأمن السيبراني.. الفرص والتحديات، مجلّة واسط للعلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، العدد (51)، جامعة واسط، 2022 .

3. سرمد زكي الجادر، وائل محمد إسماعيل: الإدراك الأمريكي للعلاقات الأمنية مع روسيا الإتحادية (الواقع والمُستقبل)، مجلّة قضايا سياسيّة، العدد (1)، كُليّة العلوم السياسيّة – جامعة النهرين، 2008 .

4. سعد عبيد السعيدي: توظيف روسيا الإتحاديّة لقطاع الطاقة في دعم دورها العالمي بعد عام 2000، مجلّة المعهد، العدد (11)، معهد العلمين للدراسات العُليا، 2022 .

5. سند وليد سعيد: عودة روسيا الإتحاديّة إلى المناطق الحيويّة في القرن الحادي والعشرين، المجلّة العراقيّة للعلوم السياسيّة، العدد (7)، الجمعيّة العراقيّة للعلوم السياسيّة، 2022 .

6. فاطمة حسين فاضل المفرجي: تطور العلاقات الروسية – العراقية للمدة (2011 – 2019)، مجلّة العلوم السياسيّة، العدد (62)، كليّة العلوم السياسيّة – جامعة بغداد، 2021 .

7. ليث سلام مهدي: المنافسة الإقليمية والدولية في الشرق الأوسط وتأثيرها على العراق، مجلّة دراسات وبحوث إعلاميّة – مسار، العدد (8)، الجامعة العراقيّة، 2022 .

8. مثنى علي حسين المهداوي: أثر المتغير الأمريكي في العلاقات الروسية – العراقية المُعاصرة، مجلّة دراسات دوليّة، العدد (41)، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة – جامعة بغداد، 2009 .

9. مصطفى إبراهيم سلمان الشمري: تأثير العامل الأمني في السياسة الخارجية العراقية منذ العام 2003، مجلّة تكريت للعلوم السياسيّة، العدد (25)، جامعة تكريت، 2021 .

10. وداد جابر غازي: طبيعة العلاقات العراقية – الروسية (دراسة تاريخية وسياسية)، مجلّة مركز المُستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة، العدد 20–21، الجامعة المُستنصريّة، 2006 .

11. وليد حسن محمد: الدور الدولي في محاربة الإرهاب في العراق... روسيا أنموذجاً، مجلّة دراسات دوليّة، العدد (61)، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة – جامعة بغداد، 2015 .

ثانياً: المصادر الروسيّة:

1. Аль-Зухайри, Х. М. Внешнеэкономическое сотрудничество России и Ирака в современных условиях / Х. М. Аль-Зухайри // Современные вызовы и реалии экономического развития России : Материалы V Международной научно-практической конференции, Ставрополь, 19–21 апреля 2018 года / Под ред. Л.И. Ушвицкого, А.В. Савцовой. – Ставрополь: Общество с ограниченной .ответственностью "Издательско-информационный центр "Фабула", 2018

2. Ваничкин, С. В. Чем опасно "Исламское государство" для России / С. В. Ваничкин // Научные ведомости Белгородского государственного университета. Серия: История. Политология. – 2015. – № 19(216).

3. Воронина, Т. В. Сотрудничество Ирака и России в сфере электроэнергетики / Т. В. Воронина, Х. М. А. Аль-Зухайри // Многополярная глобализация и Россия : Сборник материалов VII международной научно-практической конференции, Ростов-на-Дону, 24–26 мая 2018 года. Том 2. – Ростов-на-Дону: Южный федеральный университет, 2018.

4. Восстановление Ирака после победы над "Исламским государством": перспективы международного участия // Вестник Московского университета. Серия 25. Международные .отношения и мировая политика, – Т. 10, № 2, 2018

5. Мелконян, С. Г. "Исламское государство Ирака и Леванта" (ИГИЛ) как экзистенциальная угроза безопасности России / С. Г. Мелконян // Научные труды Северо-Западного института управления РАНХиГС. – 2015. – Т. 6, № 1(18).

6. Смирнов, А. Н. Исламский фактор в политике России: возможности и пределы влияния / А. Н. Смирнов // Мировая экономика и международные отношения. – 2011. – № 9.

7. Щёкин Анатолий Сергеевич. "ВОЕННО-ТЕХНИЧЕСКОЕ СОТРУДНИЧЕСТВО РОССИИ СО СТРАНАМИ БЛИЖНЕГО ВОСТОКА КАК ФАКТОР СТАБИЛЬНОСТИ В РЕГИОНЕ" Россия и современный мир, №. 2 (115), 2022

ثالثاً: مصادر الإنترنيت:

1. روسيا والعراق.. تاريخ من التعاون العسكري والإقتصادي، الجزيرة مُباشر، 2015/5/21، الموقع مُتوفر عبر الرابط: https://bit.ly/401XD2A

2. سفير روسيا في العراق: الولايات المتحدة تعيق التعاون العسكري التقني بين موسكو وبغداد، RT Arabic ، 2022/12/8، 04:46 ، الموقع مُتوفر عبر الرابط: https://bit.ly/3zgThlU

3. شيلان شيخ موسى: زيارة لافروف للعراق.. حماية للعلاقات الاقتصادية من العقوبات؟ الحل نت (منصّة إعلاميّة إلكترونيّة)، الأربعاء 8 فبراير 2023، 4:00 م، الموقع مُتوفر عبر الرابط: https://bit.ly/40sUjgB